مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين

في
التربية المسيحية

تأليف

المتنيح الأنبا بيمن
أسقف ملوى وانصنا والأشمونين
وأستاذ أصول التربية
بالكلية الاكليريكية

دكتور سليمان نسيم
أستاذ التربية بجامعتى حلوان والقاهرة سابقاً
رئيس قسم الدراسات الاجتماعية والتربوية
بمعهد الدرسات القبطية

الجـــزء الأول
مفهوم التربية المسيحية ومجالاتها

فـــى
التربية المسيحية

تأليـــف

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وانصنا والأشمونين
وأستاذ أصول التربية
بالكلية الاكليريكية

دكتور سليمان نسيم

أستاذ التربية بجامعتى حلوان والقاهرة سابقاً
رئيس قسم الدراسات الاجتماعية والتربوية
بمعهد الدرسات القبطية

الجـــزء الأول
مفهوم التربية المسيحية ومجالاتها

الطبعة الخامسة

١٩٩٠

تقديم الكتاب ـ الطبعة الأولى
لحضرة صاحب القداسة الأنبا شنوده

مَنْ هو المعلم ومَنْ هو المربى ؟

المسيح إلهنا هو المعلم الصالح ، وهكذا كان يلقِّب ، وهكذا كان يعمل ، وهكذا قال عن نفسه : «معلمكم واحد المسيح» (مت ٢٣ : ٨) «و يكون الجميع متعلمين من الله» (يو ٦ : ٤٥) . وعندما صعد المسيح له المجد أرسل لنا البارقليط ، روح الله القدوس لكى يعلمنا و يرشدنا إلى جميع الحق (يو ١٦ : ١٣) . عندما يكون تعلمنا صادراً عن الله ، نضمن سلامة التعليم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن تعليم الله مزوّد بقوة منه للتنفيذ ، فهو يلقى إلينا كلامه المقدس اللازم لخلاص أنفسنا ، وفى كلامه قوة «لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (عب ٤ : ١٢) .

ولكن مع أننا نتعلم من الله ، والمسيح إلهنا هو المعلم ، والروح القدس يأخذ مما له ويخبرنا (يو ١٦ : ١٤) ، إلاّ أن الرب أقام فى كنيسته معلمين «هو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين» (أف ٤ : ١١) فما معنى هذا ؟ هل يوجد معلمون إلى جوار المسيح ؟ كلا ، يوجد هناك معلمون فى المسيح .

المعلم الحقيقى من بنى البشر ، هو ذلك الإنسان القديس الحكيم ، الذى يحمل المسيح فى داخله . والمسيح الذى فيه هو يعلم الناس فيه و به . ومن النور الحقيقى الذى فيه ، يشرق هو على الآخرين بالنور . لقد قال يسوع المسيح له المجد : «أنا نور العالم» (يو ٨ : ١٢) . وقال أيضاً : «أنتم نور العالم» (مت ٥ : ١٤) . فما المقصود بهذا ؟ . لا شك أنه ـ فى الإنارة للآخرين ـ بيننا وبين المسيح فرق كبير جوهرى . هو منير بذاته ، لأنه النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آتٍ إلى العالم ، أما نحن الذين

بنوره نعاين النور فإننا به ننير للآخرين. هو نور العالم بطريقة مباشرة، أما نحن فإننا مجرد حملة للنور. نوره الذى فينا هو الذى يضيء للناس. وإن لم يكن نوره فينا نصير ظلمة لأنفسنا وللآخرين. إن كان المسيح يحيا فينا (غل ٢: ٢٠)، فإنه يعمل بنا كل شيء، ولا نعمل نحن من ذواتنا إنما نحن نتأمل ما يعمله فينا وبواسطتنا ونقول: «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣).

لذلك ينبغى حينما نتحدث عن التربية الكنيسة أن نذكر دور المعلم فيها، وكيف ينبغى أن يكون مملوءاً من الروح القدس والحكمة حاملاً للمسيح فى داخله، لكى يكون «صالحاً للتعليم» و«مفصلاً كلمة الحق باستقامة»، ومعطياً لأولاده قدوة صالحة من حياته، حتى يمتصوا من صفاته الصالحة ما يروى ظمأ قلوبهم إلى الرب. وهكذا يتكلم بينهم بقوة الروح الذى فيه، وتقتدر كلماته كثيراً فى فعلها. مسكين ذلك المدرس الذى يعلم فى مدارس التربية الكنسية إن كان فارغاً من الداخل، لا أقصد فارغاً من المعلومات، وإنما من روح الله الذى حدثنا بولس عن ثماره بأنها «فرح، وسلام، وطول أناة، ولطف، وصلاح، وإيمان، ووداعة، وتعفف» (غل ٥: ٢٢).

ومسكين هذا المدرس إن كان خالياً من ثمار الروح هذه. وفى نفس الوقت مملوءاً من المعرفة. لأن مثل هذه المعرفة تنفخ (١ كو ٨: ١). مثل هذا قد يصلح أن يكون «دائرة معارف»، ولكنه لا يصلح أن يكون مربياً. أما أولاده فقد تمتلىء عقولهم أفكاراً، دون أن تقوى هذه الأفكار على تغيير حياتهم إلى الأفضل. حسناً قال معلمنا بولس الرسول: «وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة. لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله. لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر... بحكمة الله فى سر» (١ كو ١٢: ٤-٧).

المعلم فى خدمة التربية الكنسية ينبغى أن يكون أيضاً إنساناً ذا خبرة، حتى يكون عملياً فى تعليمه، لا يكلم أولاده عن نظريات لم يمارسها، وإنما عن خبرة ودراسة. وينبغى أيضاً أن يكون عارفاً بالنفس البشرية وكل عناصرها. يعرف حواس هذه النفس ومشاعرها وغرائزها وانفعالاتها وانطباعاتها. يعرف حالة كل مرحلة من مراحل السن وصفاتها وما يلائمها من طرق التدريس وطرق المعاملة. وذلك لأن «رابح

النفوس حكيم» (أم ١١: ٣٠).

إن موضوع التربية المسيحية هو علم بكر بالنسبة إلى جيلنا هذا ، وإن كان الآباء قد طرقوا هذا الموضوع -بطريقتهم الخاصة- منذ اقدم العصور مثل القديس اكليمنضس الاسكندرى فى القرن الثانى فى كتابه «المربى» والقديس أوغسطينوس بعده بأكثر من قرنين فى كتابه «المعلم»... وانه بلا شك مجهود مفرح ونافع هذا العمل الكبير الذى قام به الأستاذان سليمان نسيم وكمال حبيب بوضعهما هذا الكتاب ، حيث استفادا كثيراً من معلوماتهما القيمة فى التربية وعلم النفس. ومن خبرتهما الطويلة فى محيط التربية الدينية ، وصاغا الموضوع بطريقة روحية ، استخدمت المعرفة النفسية كأداة توضع فى يد النعمة لكى يعمل بها الروح عمله الإلهى فى تربية التلميذ تربية شاملة من كل ناحية.

من كل قلبى أشكرهما على هذا المجهود واهنئهما ، وأريد أن اعتبره مجرد خطوة أولى فى هذا الموضوع الواسع أو مجرد مقدمة له. الرب يعطيهما بنعمته أن يتبعا هذه المقدمة ببحوث أخرى تفصيلية.

وليعطِ الرب نعمة لمن يقرأ هذا الكتاب لفائدته وفائدة أولاده فى أسر التربية الكنسية...

شنوده

أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

١٩٦٣/١٢/٩ (٢ أمشير)

تذكار القديس الأنبا بولا السائح

فكرة الكتاب

هذا كتاب فى التربية المسيحية وأصولها ، راعينا فيه أن يستند إلى الأسس الروحية والعلمية ، وقد لاحظنا أن هذه الأسس كثيراً ما تلتقى فى نقط مشتركة ؛ مما كشف لنا عن أوجه التشابه بين اتجاهات المسيحية فى تربية النفس البشرية وإعدادها للحياة الأفضل ، وبين اتجاهات التربية الصحيحة القائمة على فهم سليم لطبيعة النفس فى ظل التقدم الواضح الذى قطعته أبحاث علم النفس فى السنوات الأخيرة .

ولكن ليس معنى وجود نقط التقاء أن كلا الأهداف والطرائق متفقة ، فالمسيحية لها أهداف أسمى وأعمق مما تتطلبه التربية الاجتماعية ، كما أن الطريق فى المسيحية يختلف جذرياً عما رسمته نظريات التربية . لذلك يعتبر هذا الكتاب إبرازاً لأهداف وطرائق المسيحية فى تربية الإنسان من ناحية وتقويماً لمبادىء التربية من خلال النظرة المسيحية من ناحية أخرى .

وفى ضوء خبرة سنين طويلة فى خدمة الشباب والأطفال ، رأينا أن نقدم هذه المحاولة المتواضعة ، راجين أن تكون بركة للعاملين فى حقل الخدمة المتسع ، حقل التربية الهادفة إلى حياة أفضل .

ونرجو ألاَّ نكون مغالين إذا قلنا إن عملية التربية تعتبر من الدقة بمكان بحيث تتطلب حكمة ودراية ، إلى جانب حاجتها الأساسية إلى عمل النعمة فى المعلمين والمتعلمين جميعاً ، حتى ينتقل المؤمنون من مرحلة السماع والفهم إلى مرحلة الإيمان والتطبيق العملى .

وليس أصعب من التعامل نفسياً وتربوياً مع الأطفال والفتيان والشباب فى البيت والمدرسة والمجتمع ، خاصة فى ضوء ظروفنا الاجتماعية التى تمر بمرحلة تطور وتغيير هائلة فى وقتنا الحاضر ، مما يتطلب الكثير من الجهود فى نشر الوعى الروحى التربوى بين الأمهات والآباء ، وبين المدرسين ، والخدام ، بل وبين الرعاة والقادة أنفسهم ، حتى يقوموا جميعاً على هذه المسئولية الخطيرة خير قيام ، ويسهموا فى إعداد المواطنين الأمناء

الساعين نحو الملكوت السماوى والذين يكونون أكفاء فى حسن التعامل مع بعضهم البعض مسهمين فى إيجابية واخلاص بتقديم كل ما يستطيعون من خدمات لوطنهم وكنيستهم بل وللإنسانية جمعاء مبتدئين بأنفسهم.

ولكى يسهم هذا الكتاب فى توصيل الفكر التربوى الأصيل إلى القارىء رأينا أن نكتب فصلاً عن الشخصية الإنسانية وكيف تعمل المسيحية على اعادتها إلى الصورة الإلهية، إذ لا شك أن هذه الغاية هى الهدف الأساسى لرسالة الخدمة المسيحية، ولكى نترجم هذا الفكر ترجمة عملية وضعنا منهجاً فى التربية المسيحية يستند إلى الأسس نفسها التى رسمها الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، وقد وجدنا ـ كما سبق القول ـ أن هناك تطابقاً واضحاً بين هذه الأسس وبين كثير مما وصل إليه علم النفس التربوى من حقائق.

هذا ويلاحظ القارىء أننا نعيد طبع الكتاب للمرة الرابعة لكننا نقدمه هذه المرة فى شكل جديد فقد قسمناه إلى مجموعة كتب:

الكتاب الأول عن: التربية ـ ماهيتها ـ مجالاتها ـ مقارنة بين التعليم والتربية.

الكتاب الثانى عن: أوساط أو عوامل التربية وهو يعالج:
دور المنزل والتربية المنزلية ـ المدرسة كمجال للتربية الدينية ـ الكنيسة كمجال للتربية ـ خدمة التربية الكنسية ـ المسيح المربى ـ المعلم الكنسى وشروط إعداده.

الكتاب الثالث عن: طرق التعليم الدينى ويشمل:
قواعد التدريس ـ طرق تحضير الدرس للمراحل المختلفة ـ نماذج لبعض الدروس والانشطة.

الكتاب الرابع: ويدرس التربية الدينية خلال مراحل النمو مبتدئاً بتحديد مراحل النمو ـ ومشكلات كل مرحلة خاصة المراهقة والشباب أو البلوغ ثم يقدم معالم جديدة للتربية الجنسية المستنيرة.

الكتاب الخامس: عمل النعمة فى الشخصية الإنسانية ويدرس مكونات الشخصية الإنسانية وكيف تنمو العواطف والاتجاهات والحاجات وعلاقة هذا النمو بالقيم المسيحية ثم يبين مفهوم الصراع النفسى والعقد والانحرافات النفسية والعقلية وأنماط الشخصية وعمل النعمة فيها كأقوى أساليب الوقاية والعلاج.

واننا لنرجو أن يكون الكتاب فى صورته الجديدة بركة ونفعاً لقرائه وضوءاً هادياً يكشف أمامهم معالم الطريق الطويل إلى الحياة الأفضل خاصة فى عصر كثرت متغيراته وزادت مشكلاته وتحدياته.

مارس ١٩٨٥

المؤلفان

الجـــزء الأول

التربية ماهيتها

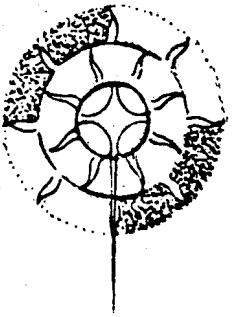

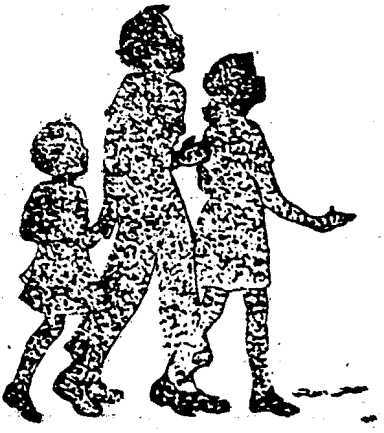

التربية ماهيتها - عواملها

تعريف التربية والمدخل إلى دراستها

التربية عملية إعداد وتوجيه للحياة فى مختلف مجالاتها الطبيعية ، والاجتماعية ، والإنسانية ، وعلى مدى مراحل العمر ، ولا سيما مرحلة الطفولة ، وهى مرحلة اكتساب الخبرة واتقانها ، ثم التدريب على تقييمها ولذلك فإن للخبرة أهميتها وتأثيرها فى توجيه العملية التربوية ، فالخبرة هى مضمون التربية تشكلها وتتشكل بها ، فردياً واجتماعياً .

أما فردياً : فلأن التربية الصحيحة تحقق للفرد النمو المتكامل من النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والروحية والجمالية وتعطيه الفرصة التى تجعله يكتشف ذاته وقدراته ، ويميز الفروق التى بينه وبين الآخرين ، ثم ينتقى الاتجاه الذى يتناسب وهذه القدرات . وبذلك تتصل التربية بعملية نمو الفرد ومحاولة الوصول به إلى أقصى حد ممكن من الكمال والسعادة .

وأما اجتماعياً : فلأن التربية تحقق التوازن بين الفرد والمجتمع .. فالتربية لا تقف عند حد إعداد الفرد وتهيئته للحياة ، وإنما هى تعد الفرد للقيام بمختلف وظائفه فى المجتمع الذى يعيش فيه . إنها تنقل إلى الفرد تراث مجتمعه لكى تضمن لهذا المجتمع الاستمرار والبقاء من ناحية ، والتطوير والارتقاء من ناحية أخرى . فإذا كانت التربية تمثل انعكاساً لأوضاع معينة فى المجتمع ، فهى فى الوقت نفسه تعمل على إحداث التغير فى هذه الأوضاع لتصل إلى الأفضل ، وبذلك لا يتخلف عن حضارة العالم وما حققه من مظاهر التطور والارتقاء .

وإلى فترة طويلة ظلت الدراسات النفسية وانطباعات النظريات المختلفة عليها : كنظرية التطور ، ونظرية الفعل المنعكس الشرطى أو النظرية الترابطية ، ثم نظريات وليام جيمس وماكدوجل فى الغرائز ، ونظرية فرويد فى اللاشعور ، تشكل مدخلاً هاماً لعلم التربية من حيث تأثر الكائن الحى بظروف البيئة التى تحيط به ، ومحاولته التكيف مع هذه الظروف ، والدوافع التى تدفع به إلى هذا التكيف ، مما أدى إلى

ظهور نظرية الغرائز، والنظرية الغرضية فى توجيه سلوك الكائن الحى، والتى تبلورت بعد ذلك فى فلسفة التربية عن طريق النشاط فيما عُرف باسم البراجماتية (١) أو فلسفة الذرائع.

المدخـــل الاجـــتماعى:

لكن ثمة مدخلاً آخر استجد بعد ذلك: ذلك هو القيم الثقافية والحضارية المؤثرة فى المجتمع وهى التى تبلورت عن الأصول الاجتماعية للتربية، وما يرتبط بها من مظاهر التطور فى المجالين العلمى والإنسانى. وما يترتب على هذا التطور من تغاير الأفكار المؤثرة فى حياة الناس وفيما يسود عليهم من اتجاهات، وفيما يقوم بينهم من علاقات، تميزها سمات معينة، تتباين من مجتمع لآخر، بل وبين جيل وآخر.

فى النصف الثانى من القرن العشرين الذى نعيشه يمكننا أن نلاحظ بسهولة سمة التغير السريع لأحوال المجتمعات نتيجة الطفرات العلمية والتكنولوجية مما ترك آثاره فى أحوال الناس ونفسياتهم، وانعكس بالتالى على طرق تعليمهم، وفلسفة تربيتهم، أى فى أسلوب إعدادهم للحياة المتطورة التى تختلف سماتها تماماً عن سمات الحياة منذ نصف قرن. وقد نقول ربع قرن فإيقاع الحضارة والتغير أصبح سريعاً جداً.

ومن المعروف أن طرق التربية واتجاهاتها تختلف فى المجتمع الزراعى عنها فى المجتمع الصناعى، كما تختلف فى مجتمعات البلاد المتقدمة، تكنولوجياً، عنها فى البلاد النامية، وكذا فى البلاد الديمقراطية عنها فى البلاد الديكتاتورية، وفى البلاد الرأسمالية عنها فى البلاد الاشتراكية، لكن إمكانية الاتصال بأجزاء العالم وتزايدها عاماً بعد آخر قد أضحى قوة أخرى تضاف إلى القوى التربوية والنفسية ليزداد تبادل التأثر والتأثير بين خبرات البلاد المختلفة، مما أتاح الفرصة للافادة من كافة الخبرات تحقيقاً للتكامل فيما بينها. ولقد ظل هذا المفهوم يلح على الأسرة الإنسانية حتى أخرجت فكرة العمل المشترك فى مؤسسة العلوم والتربية والثقافة المعروفة باليونسكو لتصبح مركزاً ليس فقط لتبادل الخبرات وإنما لتطويرها وتنميتها، واعتبار المؤثرات المتباينة فى مختلف البيئات والمجتمعات للتنسيق بينها حتى يمكن الوصول فى النهاية إلى تقارب وجهات النظر نحو الفكر التربوى الإنسانى الموحد.

---

١ - البراجماتية أو البراجماسية تعنى ممارسة الخبرة التى تحقق نجاحاً ومنفعة فالنشاط الذى يحقق منفعة ما، هو فى رأى أصحاب هذه النظرية النشاط الناجح. والذرائع جمع ذريعة وتعنى القصد.

المدخل المسيحى والفكر الأرثوذكسى :

وينقلنا هذا إلى التساؤل هل من مدخل مسيحى إلى عالم التربية ؟ الواقع إن المسيحية أكدت وحدة الإنسان فى الله نفسه. ففى صلاة الرب الشفاعية : « ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد » (يو ١٧) فالله أب ، والإنسان ابن خُلق على صورة الله ومثاله. وبمجىء المسيح تأكدت هذه الوحدة على أساس فاعلية الأسرار المقدسة فى النفس الإنسانية وتحويلها إلى هيكل لروح الله. وهذا هو المدخل المسيحى إلى علم التربية. لكن لا يتبادر إلى الذهن أن هذا الفعل الباطنى للأسرار الإلهية هو فعل فردى ، ذلك أن المؤمن لا يتحرك فى فراغ وإنما يعيش فى مجتمعه العام من ناحية ، ومجتمع الكنسى من ناحية أخرى ، ومطلوب منه أن يتشبه بإلهه فى أعمال المحبة وسلوك الكمال. فهذه هى ثمار بنوته لله وهى ثمار تمتد إلى أعضاء الجماعة جميعاً وتستهدف بنيانهم من خلال القيم المسيحية. وعن هذه الفكرة يقول القديس بطرس ان السيد المسيح : « ترك لنا مثالاً لنتبع خطواته » (١ بط ٢ : ٢١).

ضرورة التربية ومسئولياتها

تتضح ضرورة التربية فى أنها لازمة لتوجيه نمو الفرد ورفع مستوى الحياة فى الجماعة. أى أنه بدون التربية يتوقف نمو الفرد نحو السلوك الموجه المرغوب فيه ، كما تتجمد أحوال الجماعة وينقطع إستمرار تراثها ، بل واستمرار كيانها نفسه.

ويمكن تلخيص وظيفة التربية من خلال مسئولياتها الضخمة فى أنها تقوم على :

١ ـ إعداد الأفراد للتكيف مع مجتمعاتهم وبخاصة فى عصر التغير السريع.

٢ ـ تأكيد شخصية الفرد والكشف عن قدراته واستعدادته.

٣ ـ حماية الإنسان من طغيان عصر المادة ، وإيجاد التوازن الفكرى والروحى بين الإنسان والمادة.

٤ ـ تحقيق التفاهم الإنسانى والعلاقة الإنسانية على المستوى العالمى.

٥ ـ الحفاظ على الجيد من التراث الثقافى وتنقيته وتبسيطه.

٦ ـ تنمية هذا التراث وتطويره وتعميق أبعاده.

فإذا أضفنا إلى ذلك حاجة بلادنا الخاصة إلى علم التربية لتأكيد الاتجاه الديمقراطى من ناحية والاتجاه الاشتراكى من ناحية أخرى وكذلك تثبيت القيم المرتبطة بها فى عقول الناس، ثم ربطه بسلوكهم ومسار علاقاتهم؛ ومن جانب آخر فى الكشف عن علاقة هذا الاتجاه بمبادىء الشركة فى الحياة المسيحية، وبالوسائل التى تكفل تحقيقها عملياً فى حياة المؤمنين، اتضحت لنا ضرورة التربية كعلم وممارسة فى ذات الوقت له مضمونه الواسع من الخبرة الإنسانية المتطورة والمنفتحة على مختلف المجالات النفسية والاجتماعية والروحية.

و يقودنا هذا إلى دراسة مظاهر النمو فى حياة الإنسان ودور التربية فى توجيهها سواء من الناحية العامة أو من الناحية المسيحية بوجه خاص.

أولاً - النمو الجسمى والتربية الجسمية:

تشمل التربية الجسمية كل ما يؤدى إلى صحة البدن من اختيار أنواع الطعام النافع، والرياضة فى الشمس والهواء، والاستفادة من طرق الوقاية الحديثة خاصة فى مرحلة الطفولة حفظاً للطفل من الأمراض. وقد ثبت أن صحة الجسم تؤدى، وخاصة فى السن المبكرة، إلى حفظ الذكاء، وصون القوى العصبية والنفسية والعقلية من التلف. ولو طبقنا هذا المبدأ على التربية المصرية فى وقتنا الحاضر لوجدنا أن الأمراض المتواطنة عندنا: كالبلهارسيا، والانكلستوما، والرمد، والبلاجرا وغيرها هى فى صميمها مشاكل تربوية. ولكى لا يتعطل نمو بلادنا وتطورها، ولكى تستمر ثروتنا القومية فى الزيادة، وجب أن ننظر إلى علاج هذه الأمراض نظرة جادة على أساس تربوى يستهدف استئصال جذورها من وسط شعبنا وحضرنا وريفنا. فتدريب الأطفال على العادات الصحية منذ بواكير طفولتهم، وتنمية وعيهم العام، وتعويدهم على تذوق الجمال والاحساس به فى النظافة، ومقاومة الحشرات، والطهارة الشخصية، والتعفف عن الافراط فى الطعام، وتجنب المكيفات، وتقدير قيمة الصحة وأهمية الوقاية، والاحتياط من العدوى، سواء فى تجنب الإصابة بها أو فى نقلها للآخرين: كل هذا يدخل فى صميم مسئولية التربية، والمربون ولا شك ملتزمون به سواء فى مجال تعليم الصغار أو الكبار بالوسائل التعليمية والإعلامية المختلفة.

على أن مدى النجاح فى تحقيق أهداف التربية من هذه الناحية بالذات يتصل

إتصالاً وثيقاً بقدرة المجتمع على رفع مستوى معيشة المواطنين، وتوفير إمكانيات الحد الأدنى للحياة الكريمة لهم فى المسكن الصحى، والطعام الصحى، والماء النقى، والترفيه، بالإضافة إلى نشر الوعى الصحى بينهم وإقناعهم بالأخذ دائماً بأسباب الوقاية. ولا شك أن بلادنا قد خطت منذ فاتحة القرن العشرين خطوات واسعة فى محاولة تحقيق هذا النوع من الحياة لشعبنا، لكننا لانزال نعانى من الأمية المتفرعة إلى كافة النواحى مما يتطلب متابعة بذل الجهود.

ومن وجهة النظر المسيحية، فإن الجسم وزنة أعطاها الله لنا ثم قدسها بأسراره المقدسة، فنحن بالمعمودية نولد الولادة الروحية، وبسر الميرون تصبح أعضاؤنا هى أعضاء المسيح، وأجسادنا هى هياكل مقدسة يحل فيها روح الله كقول القديس بولس: «أنتم هياكل الله وروح الله ساكن فيكم».

وكما أننا نعبد الله بأرواحنا وعقولنا فإننا نعبده أيضاً بأجسادنا: بالصوم، وبالسجود وبأعمال الإماتة المختلفة التى تحقق لنا سيطرتنا على كل حواسه وحركاته وأهوائه. يقول القديس بولس: «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غل ٥: ٢٤) وفى موضع آخر يقول: «بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١ كو٩: ٢٧).

ويضعنا هذا أمام مسئولية تدريب ذواتنا على فضيلة الكف وإرادة الحرمان فيما يضر أجسادنا، أو يثيرها، أو ينحرف بها عن الغاية الأساسية منها، والوظائف الطبيعية لمختلف أجهزتها وأعضائها.

يقول القديس بولس: « كل شىء يحل لى لكن ليس كل شىء يوافق.
كل شىء يحل لى لكن ليس كل شىء يبنى.
كل شىء يحل لى لكن لا يتسلط علىَّ شىء »
(١ كو٦: ١٢).

على أن إماتة الجسد وضبطه لا يعنى قتله أو القضاء عليه فبدون الصحة الجسدية لا يمكننا ممارسة واجباتنا الروحية والتزاماتنا الاجتماعية والأدبية.

وليس من الحكمة أن نحيا فى العالم بجسد الناسك، وإنما نعيش بعقليته وروحه متذكرين دائماً نسك سيدنا له المجد، وصومه، وجهاده، سالكين إزاء أجسادنا

بحكمة ولياقة. بل إن القديس بولس - فى حدود وسائل العلاج التى كانت معروفة فى عهده - نصح تلميذه القديس تيموثاوس قائلاً: «لا تكن فى ما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة» أى استخدمها كدواء. إن هناك صراعاً بين الروح والجسد كقول القديس بولس: «وهذان يقاوم أحدهما الآخر» وكقول القديس يوحنا الحبيب: «لأن كل ما فى العالم: شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة» (١ يو ٢: ١٦) هذا يجعلنا أكثر حذراً وحرصاً فى النظر إلى طبيعة أجسادنا، والانتباه إلى حدود حركاتها. فالعين الطاهرة تجعل الجسد كله نيراً كقول الرب: «فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً» والعين الشريرة مجلبة للنجاسة والهوان كقول الرب: «وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً» (مت ٦: ٢٢، ٢٣).

وما يصدق على العين يصدق بالتالى على مختلف الحواس، فالحواس الطاهرة المتعففة، كفيلة بتطهير الجسد كله وتأكيد نقاوته ولسنا فى حاجة إلى أن نتذكر أن خطيئة حواء بدأت بالنظر والتطلع إلى الشجرة المنهى عنها، فوجدت أنها شهية للنظر وبهجة للعيون ولو أنها تطلعت بعين الوصية التى أوصيت بها ونظرت إليها بنظرة الطاعة لله لما أخطأت، لكنها تعالت على الوصية، وتحدتها، فنظرت وتأملت، وإذا بالنظرة تتحول إلى شهوة، والشهوة إلى فعل، وهنا كانت المعصية وكان التعدى. وإذن فطاعة الله من جهة أجسادنا واجبة، لأننا سندان بكلياتنا وجزئياتنا، أى أننا سنقدم حساباً عما بدر من أرواحنا وأفكارنا وأجسادنا، وإذا كان رب المجد قد طمأننا قائلاً: «ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد»، كما أوصانا فى لطف: «لا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» (مت ٦: ٣١، ٣٢) «فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت ١٠: ٣٠)؛ فإنما لكى يعلمنا أن الجسد هو فى الدرجة الثانية بعد الفكر والروح لأننا «على صورته خُلقنا»، وبالقدوة الصالحة يتعلم أبناؤنا منا قوة التحكم فى إرادتهم، وقوة الضبط لأهوائهم، ويتسلمون نعمة التعفف عن شهوات الجسد وأهوائه.

ولما كان «لكل أمر تحت السموات وقت» كقول الحكيم (جا ٣: ١)، كما أن لكل شخص موهبته واتجاه قدراته وإرادته، فحياة المتزوج تختلف ولا شك عن حياة المتبتل وإن كان الخط الروحى الذى يجمعهما هو خط واحد من حيث تنفيذ إرادة الله

فى كل سلوك مما يجعل للبتولية مكافأتها وللزواج أيضاً كرامته . فالواجب ألاَّ يدين أى منهما الآخر لأن كلاً منهما مقدس فى الله ، كما أن لكل منهما موهبته التى يخدم ويمجد بها إسم الله . نقول هذا لأن للزواج جانبه الجسدى ، لكنه - فى المفهوم المسيحى - جزء لا يتجزأ من الحب المتبادل بين الزوجين ، وعنصر من عناصر المسئولية التى يحملانها معاً فلا يرتكب أحد جهالة و يقارن بين « شكل » المتبتل ، وشكل المتزوج ، فالمهم فى « جوهر » حياة كل منهما ومضمونه من حيث جهاده فى سبيل تحقيق الكمال المسيحى فى حياته وفى ممارسة الفضيلة المسيحية أمام الله والناس . يقول القديس بولس : « فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١ كو ٦ : ١٢ - ٢٠) أى أن الفضيلة المسيحية تستهدف ، متزوجين كنا أو متبتلين ، تمجيد إسم الله بأجسادنا وأرواحنا .

ثانياً - التربية العقلية :

و يقصد بها تنمية القدرات العقلية المختلفة كالتفكير والاستنتاج والربط والمقارنة ، كما تشمل التدريب على تكوين النظرة الناقدة المميزة وعلى جمع الحقائق وتبويبها ، وحسن إدراك الفرد لما يحيط به من مؤثرات وظواهر . ووسيلة التربية العقلية تدريب العقل على البحث ، وتنمية قدراته على التصور والإبداع . والواقع إن العقل الإنسانى ثروة لا تقدر ، كلما نجح المربى فى تنمية هذه الثروة وإطلاقها ، منذ مرحلة الطفولة المبكرة ، أتت بأوفر الربح .

وفى المفهوم المسيحى إن مخافة الرب رأس المعرفة (أم ١ : ٧) و يقول الرب : « فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » (مت ١٠ : ١٦) فالحكمة مطلوبة

والتصرف الحكيم والسلوك الحكيم هما ثمرة من ثمار عمل النعمة فى الإنسان. بل كثيراً ما كان الرب يلفت نظر تلاميذه إلى وجوب احترام العقل والتفكير؛ فكان يستغرب عدم إيمانهم أحياناً قائلاً: «كيف لا تفهمون»؟ (مر ٨: ٢١) و يقول الحكيم: طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفهم (أم ٣: ١٣) كما يقول الرب.. «لا تجرب الرب إلهك» (مت ٤: ٧) أى لا تتجاهل عقلك. بل إنه له المجد حين تحدث عن الذين يسمعون الكلمة وتثمر فيهم فى مثل الزارع قال: «وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة و يفهم» (مت ١٣: ٢٣). وكثيراً ما كان له المجد ينظر بغضب إلى الفريسيين المتعصبين الذين أغلقوا عقولهم، حزيناً على غلاظة قلوبهم، «فقد تمسكوا بالحرف وأبطلوا بتقليدهم وصية الله» وسخروا الإنسان لأجل السبت وعاشوا «جهالاً وعمياناً» يعبدون المظهر، و يتعصبون للحياة الجوفاء الخاوية. حتى أن الرب الذى كان يخاطب الجموع بالأمثال؛ كثيراً ما كان يعلمهم تعليماً مباشراً قائلاً: «اسمعوا منى كلكم وافهموا» (مر ٧: ١٤) وذلك لينمّى لديهم القدرة على التمييز بين المظهر والجوهر، و يوجههم إلى تجنب نوع الحياة الخاطئة التى كان يحياها هؤلاء الفريسيون.

على أن الكتاب المقدس الذى يفسر نفسه بآياته ومواقف قديسيه يحذرنا من تجاهل عمل الله فينا، وثمار حكمته السمائية، فيحذرنا من أن «العلم ينفخ ولكن المحبة تبنى» (١ كو ٨: ١٠) كما يقارن القديس بولس بين الحكماء الذين وقعوا فى خطيئة الكبرياء ظناً منهم أن حكمتهم كفيلة بخلاصهم، وبين المتواضعين المحبين الذين أسلموا عقولهم وقدراتهم لعمل النعمة... يقول الحكيم: «توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد» (أم ٣: ٥) كما يقول: «لا تكن حكيماً فى عينى نفسك» (أم ٣: ٧).

أما حكمة الرب فقد جاءت فى صلاته التى سجلها القديس متى «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (مت ١١: ٢٥)، وقد أكد القديس بولس هذا المعنى «بل اختار جُهّال هذا العالم ليخزى الحكماء» (١ كو ١: ٢٧).

والغريب أن الإنسان وهو يشعر فى أعماق نفسه بسر الألوهة يتحرك فى داخله ويحرك عواطفه وأحاسيسه جميعاً، يكابر و يتنكر، و يستخدم عقله الذى أودعه الله فيه

ثروة وبركة لكى ينكر وجود هذا الإله فما أصدق ما ينطبق عليه قول الوحى: «قال الجاهل فى قلبه ليس إله» (أم ١٤: ١).

وهنا يأتى دور المربى الروحى فى أن يكون هو نفسه شعاع نور يقوى إيمان أولاده وتلاميذه بما يلمسونه فيه من الفضائل الإلهية، وروح الصلاة ومشاعر الإيمان، التى تجعله يترنم فى قوة مع القديس بولس: «لأننى عالم بمَنْ آمنت» (٢تى ١: ١٢)، فلئن كانت المسيحية تحترم العقل، حتى أن القديس بولس يقول: «إمتحنوا كل شىء وتمسكوا بالحسن» (١تس ٥: ٢١) وتضعه فى موضع التقدير والكرامة، لكنها تضع الإيمان والتصديق بما أتى به الوحى موضع التقديس والهيبة، ولكلٍ مجاله الذى يتحرك فيه وهما معاً مكملان لبعضهما البعض. وحقاً إن العقل لا يستطيع أن يثبت ما جاء به الوحى، لأنه يستقرىء التجربة والمشاهدة القائمة على الحس، أما الإيمان فموضوعه أمور ما وراء الطبيعة «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن» مما يحتم على الإنسان أن يسلّم بما جاء فى الوحى الإلهى عنها تسليماً مترسماً توجيه الرب وسامعاً لصوت تطويبه: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩).

إن الإنسان الطبيعى لا يقدر أن يحكم على الأمور الروحية لأن عنده جهالة، وكثيراً ما تخون الحكمة البشرية صاحبها لأنها قد تكون «أرضية نفسانية شيطانية» (يع ٣: ١٥) أما الحكمة السمائية «فهى أولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب والرياء» (يع ٣: ١٧) هكذا تكشف هذه الكلمات الواضحة عن أثر الروح القدس فى نقل الإنسان من حال «الغيرة المرة والتحزب» إلى حال السلام والثمر الصالح. وواضح أن امتلاك الإنسان لهذه الحكمة السمائية يجعله قادراً على أن يسلك بإرادته وملء مسئوليته السلوك المسيحى المطلوب كقول القديس يعقوب: «من هو حكيم وعالم بينكم فَلْيُرِ أعماله بالتصرف الحسن فى وداعة الحكمة» (يع ٣: ١٣).

ثالثاً ـ التربية النفسية:

ويقصد بها أن تكون نفسية الطفل نفسية خالية من العقد والانحرافات. فمن شأن المزاج الثابت المتزن الذى يخلو من التوتر والاندفاع أن يجعل صاحبه قادراً على حسن التكيف مع المواقف المختلفة. ومن أهم المظاهر الدالة على الاتزان الانفعالى أن

تخلو حياة الفرد من عوامل الصراع النفسى ، ولا يتسنى تحقيق هذا إلاّ بإعطائه الفرصة ، وهو بعد فى بواكير الطفولة ، أن يعبر عن نفسه و يشبع حاجاته النفسية بطريقة سوّية تخلو من عوامل الكبت والقهر ، وتخلو أيضاً من عوامل التدليل والتسيب ، وكذلك يجب على المجتمع أن يجنبه الشعور بالخوف والنقص والفشل .

وفى المفهوم المسيحى إن النمو النفسى السوى قرين الشعور بالسلام الداخلى ، والفرح الروحى الحق ، الذى تميزت به الحياة المسيحية ... يقول الرب : « سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ... ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يو ١٤ : ٢٧) وكثيراً ما كان سوء معاملة الوالدين ، وقسوتهما ، وإنكارهما لعمل الله فى حياتهما ، سبباً مباشراً وأكيداً لكراهية أطفالهما لله لما يحدث فى باطنهم ، لا شعورياً ، من أستبدال الوالدين بالله من خلال مشاعر الكراهية التى يكنونها لوالديهم . من أجل هذا كان للجو العائلى الأثر كل الأثر فى تقريب الطفل ، وهو بعد فى بواكير طفولته ، من حب الله أو العكس ، ومن خلوه من عوامل الصراع النفسى ، أو إزدحام نفسه الغضة بها ، مما يعرضه لمشاعر التوتر التى سرعان ما تنقلب ، تحت تأثير تكرار أسبابها وإلحاح عواملها ، إلى عقد نفسية مريرة ، تكمن فى اللاشعور ، كمحركات للسلوك المنحرف ، فينشأ الطفل عدوانياً ، أو شديد القلق أو إنطوائياً ، أو معانياً من الاكتئاب أو الخوف ، أو انفصام الشخصية ، أو الشعور المستمر بالذنب ، وبخاصة فيما يتصل بالنواحى الجنسية التى ربما يربطها بعض الجهال بالحرام والخطيئة ، على غير أساس ، مما يحوّل خليقة الله الطاهرة ، التى لما أوجدها قال : « ورأى الله أن كل ما عمله فإذا هو حسن جداً » (تك ١ : ٣١) ، إلى شر وإنحراف . ولا يعنى هذا أن نترك أولادنا وبناتنا فى حياة الاستباحة ، فالوصية المسيحية وصية متكاملة ، والقديس بولس لا يوصينا فقط : « اهربوا من الشهوات الشبابية » وإنما يتناهى فى تحذيرنا من مجرد شبه الشر قائلاً : « امتنعوا عن كل شبه شر » (١تس ٥ : ٢٢) وإنما نحن نُفَرِّق هنا بين الكبت ، والضبط ، وبين التربية النفسية السوية القائمة على التعقل والفهم السليم ، وبين التربية الخاطئة القائمة على الانفعال ، بين التدريب الهادىء بالقدرة وفاعلية النعمة الداخلية على التسامى بالفكر والحواس ، وبين الجهل بأسس الحياة الطاهرة والسلوك عن خوف من العقاب أو عن شعور بالاشمئزاز غير الواعى (٢) .

٢ - راجع - سليمان نسيم : الشباب والجنس .
كمال حبيب : حياة العفة ، سر الحب .

وما نقوله عن هذا الجانب النفسى الهام ، ونعنى به حياة الطهارة ، يمكن أن ينسحب على بقية الانفعالات النفسية... خذ مثلاً مشكلة الغضب ، أو مشكلة الحقد... إن حلها الأوحد هو تذوق فضيلة المحبة وممارستها عملياً... وليس فقط المحبة وإنما التناهى فى المحبة على مثال سيدنا له المجد الذى قال : « إن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم » وقد أثبتت البحوث النفسية أن المحبة شفاء أكيد لكل الاضطرابات النفسية ، فالصلاة من أجل المسيئين شفاء للنفس الحاقدة ولا شك ، واحتمال أخطاء العدو ، ثم الذهاب إلى معاتبته بقصد ربحه شفاء للنفس ، يقول الرب : « وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه . إن سمع منك فقد ربحت أخاك »... أما مشكلة الخوف فقد حررتنا المسيحية منها حين قال الرب لتلاميذه وهم على وشك الغرق : « أنا هو . لا تخافوا » (مت ١٤ : ٢٧) ، فحتى فى ساعة الخطر يجب ألاَّ نجزع مترنمين بقول داود النبى : « كنت أرى الرب أمامى فى كل حين ، إنه عن يمينى لكى لا أتزعزع » (أع ٢ : ٢٥) ومن جهة احتياجات الجسد أوصانا الرب ألاَّ نقلق قائلاً فى صراحة « لا تقلقوا » (لو ١٢ : ٢٩) وفى أى ظرف من ظروفنا المؤلمة كالمرض مثلاً نجد الكنيسة تشاركنا آلامنا بسر مسحة المرضى . ولا شك أن للصلاة فاعليتها العظيمة فى تهدئة النفس المضطربة . وفى تشجيعها على التسليم لمن قال : « لا تخف أيها القطيع الصغير » (لو ١٢ : ٣٢) ، كما تذكر قول القديس بولس : « إن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨ : ٢٨) .

وهنا يأتى دور الكنيسة التى تصلى من أجل المنتقلين والمسافرين ، والمرضى ، والذين هم فى ضيقة ، وفى حب وحنو تقول : « ياعزاء صغيرى القلوب ، يا ميناء الذين فى العاصف . كل الأنفس المتضايقة والمقبوض عليها ، اعطها رحمة ، اعطها نعمة ، اعطها غفران خطاياها وآثامها » (القداس . أوشية المرضى) .

ومن أقوى الأدلة على تأثير المسيحية فى وقاية النفس من الانحراف ما هيأته للأسرة من عوامل الاستقرار ، والحب المتبادل بين الزوجين ، والقضاء على أسباب الفرقة بينهما . وبذلك ضمنت للأطفال ، وبخاصة فى الخمس سنوات الأولى ، وهى السنوات الحساسة التى تتشكل فيها صورة الطفل الداخلية ؛ ان تصل إليهم عواطف الحب والحنان . فلقد أثبتت البحوث النفسية التى أجريت لمعرفة أسباب جناح الأحداث ، وإصابة الأطفال بأمراض الصرع والانهيار العصبى ، إن تفكك الأسرة ،

وقيام المنازعات بين الوالدين، ونزول جائحة الطلاق أو تعدد الزوجات، هى أسباب هذه الأمراض جميعاً. من هنا نقلت المسيحية إلى الطفولة المعذبة، التى شقيت طويلاً فى مجتمعات الظلم والضغوط الرهيبة، منقذاً إلهياً يقوم على رعايتها بالحب وتوفير الحنان والعطف والرفق تمثلاً بمن قال: «دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت ١٩: ١٤).

على أن إحترام الطفولة، والرفق بها والعطف عليها، لا يمنع تبصير الأطفال بأخطائهم حتى لا يكرروها، وإنما العبرة هنا بأسلوب العقاب، وتوقيته، وظروفه، بحيث يفرّق المربى بين التقويم والانتقام، وبين «موضوع الذنب» وبين «معاناته الشخصية» هو، فكثيرون من المربين يعكسون متاعبهم على أطفالهم أو تلاميذهم فيضخمون أخطاءهم لكى يبرروا قسوتهم فى العقاب، وما هو بالتأديب، وإنما قد يكون فى حقيقته وواقعه تنفيساً عن عقدهم المكبوتة مما يستلزم علاج هؤلاء الكبار نفسياً أولاً قبل أن يتصدوا لمسئولية التربية (٣).

وكلما بعدنا بالعقاب عن الجانب البدنى إلى الجانب النفسى، وكلما أرتبط العقاب فى نظر الطفل بشعوره إزاء مربيه بعاطفة الحب والتقدير؛ كانت النتائج مؤدية إلى التقويم المطلوب حتى ينضج الطفل نفسياً فيتسنى له - فى ظل هذا النوع من التربية - أن يتفهم أخطاءه بنفسه، وأن تكون له القدرة على تقييم نفسه بنفسه وهذه هى قمة نجاح المربى.

ولسر الاعتراف ولا شك أهميته الخطيرة فى توجيه المؤمنين أفراداً وعائلات، نفسياً وروحياً، والأب الكاهن، يفترض أن يكون أباً شيخاً جليلاً محنكاً، هو قاض وأب وطبيب روحى، يُبصّر المعترف بنواحى ضعفه، ويقيم سلوكه الروحى والنفسى والاجتماعى، بعد أن يستمع له ولمشكلاته فى اهتمام. وهذا الاهتمام هو فى حد ذاته علاج، ففيه مشاركة للمعترف همومه ومتاعبه، وبخاصة أنه مقترن بالصلاة من أجله (٤)، وافتقاده، للتعرف أكثر إلى أسباب هذه المتاعب، فقد يكون فى توجيه

---

٣ - لعل فى هذه الظاهرة ما يؤكد حاجة الكبار إلى توعية تربوية مستمرة.

٤ - يقترب الآن بعض الرعاة فى الكنيسة الإنجيلية إلى الاعتراف بأهمية سر التوبة أو الاعتراف وبيان أهميته فى تحقيق الصحة النفسية (القس د. عبد المسيح اسطفانوس - مجلة الهدى - العدد ٨٧٤ - فبراير ١٩٨٥).

الأسرة، وإشراكها فى الحل وسيلة فعالة لوضع حد لها. ونعرف أن مشاكل الناس يمكن أن تحل بإحدى طريقتين على المستوى النفسى: إما التوجيه النفسى، وهو ما يحققه سر الاعتراف، وإما العلاج الطبى للأمراض العصبية النفسية التى تحتاج إلى طبيب نفسى لعلاج أسبابها: فقد تكون هذه الأسباب وراثية أى خلقية تكوينية، تحتاج إلى أدوية معينة أو جلسات كهربائية أو تحليل نفسى طويل الأمد، ولا يمنع هذا من إشتراك الأب الكاهن فقد يستطيع الاسهام فى نصح الأسرة، وفى تهيئة بيئة جديدة يثمر فيها العلاج النفسى وتنتفى عن المريض بها العوامل التى تسبب له التوتر والضيق. كما أن فى اشتراك الأب الكاهن، وهو يرمز للكنيسة المترفقة، فرصة لمعاونة المريض على التخلص من محنة الشعور بالذنب الذى كثيراً ما سبّب اليأس للكثيرين وجعلهم يشعرون، وهماً وخطأ، برفض الله لهم، مما يزيدهم تخبطاً وضياعاً.

من هنا فإن المفروض أن ندرب بناتنا وأولادنا على ممارسة سر الاعتراف منذ سن التاسعة، حتى إذا ما وصلوا إلى مرحلة المراهقة كانت لهم من صداقتهم بالأب الكاهن وسيلة فعالة فى متابعة الجهاد الروحى، والصمود فى معركة التوبة والطهارة، لتثبيت إيمانهم، ودعم نقاوتهم، باطناً وظاهراً، من الناحيتين النفسية والروحية، فالحياة النفسية السوية هى الخلفية الطبيعية، والقاعدة الأساسية لقيام حياة روحية سليمة تضمن عدم استتار العقد النفسية وراء تدين مريض يسىء إلى الدين نفسه وقد يكون عثرة للكثيرين (٥).

رابعاً ـ التربية الاجتماعية:

وتستهدف توجيه الفرد إلى العلاقات الاجتماعية السليمة ووسائل التعامل مع الآخرين، والوعى بحقوقه، وبالواجبات عليه، وتدريبه على التبعية والقيادة، تبعاً للمواقف التى تقابله.

فالتلميذ فى الفصل تابع لمدرسه، عليه أن يطيعه ويحترمه، ولكنه فى الفرقة الرياضية قد يكون قائداً، عليه أن يوجه و يرشد. فهى إذن عملية أخذ وعطاء فى حدود احترام حريات الآخرين ومشاعرهم وتقدير ظروفهم. ولأن التربية الاجتماعية تستهدف إعداد الفرد ليحسن التوافق فى مجتمعه مع الآخرين فإنها تتطلب الكثير من

٥ ـ راجع ـ كمال حبيب: التدين السليم.

الفضائل والصفات التى بدونها تصبح العلاقات الاجتماعية فاشلة. من هذه الفضائل مثلاً: الأمانة، الصدق، الوفاء، الايثار، التعاون.

وتعلمنا المسيحية ألاَّ نكون أنانيين، بل أن نحب الآخرين، ونحتملهم، ونخدمهم، ولكى يؤكد لنا الرب هذا المعنى أوصانا بأن «مَنْ أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً» (مر ١٠: ٤٣)، وفى ليلة خميس العهد أحضر ماء وغسل أرجل تلاميذه معلماً إياهم «تدبير الاتضاع ورسم المحبة» (كما تقول الكنيسة فى صلاة اللقان) فلما فعل هذا قال لتلاميذه: «أنتم تدعوننى معلماً وسيداً، وحسناً تقولون فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض» (يو ٣: ١٣، ١٤).

وقد جاء فى أقوال القديس بولس ما يوضح حقيقة خدمة غسل الأرجل: «لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً» (غل ٢: ٤) ويعنى هذا التجمل بفضيلة القدرة على التسامح واحتمال ضعفات الآخرين، وضبط النفس، عملاً يقول القديس بولس: «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل اضعاف الضعفاء ولا نرضى أنفسنا» (رو ١٥: ١)، والاعتراف بالخطأ والعمل على تصحيحه، وعدم التعالى على أحد لأى سبب، كما تتميز بالشجاعة فى قول الحق ومواجهة الخطأ فى صراحة.

والبيت هو المجال الاجتماعى الأول الذى تُمارَس فيه العلاقات الاجتماعية بصورة مصغرة. ولو نجح الوالدان فى أن يسلك بعضهما مع بعض بروح المحبة والاحترام المتبادل، ومع أولادهما بروح الخدمة والبذل، فإنهما يكونان بذلك قد وضعا فى أولادهما بذور التوافق الاجتماعى السليم(٦)، بالإضافة إلى أسس التكيف فى الحياة الزوجية المستقبلة. فاتجاهات الأطفال إزاء الزواج وتكوين الأسرة تتكون من واقع العلاقات الأسرية والجو الذى ينمون فيه.

ولأن الكنيسة الأرثوذكسية كنيسة شعبية، للشعب فيها دوره الفعال فى اختيار رعاته، وفى معاونتهم فى الخدمة، فإن فضيلة تبادل التعاطف والمشاركة، والفرح والحزن، بين المؤمنين، أفراداً وعائلات، تجد المجال العملى فى الحياة الكنسية الروحية بما فيها من أسرار، وأعياد، وأصوام، وافتقاد، بل إن الكثير من أوشيات القداس يدور

٦ - راجع - كمال حبيب: الأسرة المسيحية.

حول موضوعات تهم الناس اجتماعياً فالأب الكاهن يعلن قائلاً : « دبر حياتنا كما يليق » ، كما يطلب من أجل الزرع والأهوية والمياه وسداد الدين وتهيئة الحياة الصالحة النقية للمتزوجين ، والثبات للمتبتلين ، والنمو للأحداث . كل هذا يشعر المؤمن بمشاركة الكنيسة له فى مختلف ظروفه الاجتماعية ، مما يجسّد صورة الحب التى رسمها القديس بولس بالتفصيل فى رسالته الأولى إلى الكنيسة فى كورنثوس ، الاصحاح الثالث عشر حين تحدث عن المحبة التى لا تُقبّح ، ولا تفرح بالإثم ، ولا تظن السوء ، ولا تحتد ، ولا تهتم فيما لنفسها ، وكل هذه ، وإن قامت على فضيلة واحدة هى المحبة ، إلاّ أنها تمثل فى صميمها مختلف المعاملات اليومية ، سواء فى الأسرة الواحدة ، أو فى العمل ، أو المدرسة ، أو المجتمع العام . ومن شأن اتخاذ المحبة فضيلة ترافقنا فى حياتنا اليومية أن نجد فيها الحل السريع للكثير من المشاكل الاجتماعية . ألا ترى إلى موقف القديس بولس من انسيمس العبد حين رده إلى فليمون قائلاً : « ... لأجل ابنى انسيمس ... أن تقبله ... لا كعبد ... بل أخاً محبوباً ... » (رسالته إلى فليمون) وما جاء القديس بولس بجديد هنا إنما كرر ما فعله سيده له المجد من قبل حين جاءه قائد المئة قائلاً : « غلامى (أى خادمى) يا سيد مطروح فى البيت مريض جداً » فكانت إجابة الرب « أنا آتى وأشفيه » (لو ٧) .

وهكذا ألغى الفوارق الطبقية بين السادة والخدام ، وحوّل اتجاه البشرية إلى جوهر النفس الإنسانية وقيمتها ، وليس إلى مجرد المظهر الخارجى أو نوع المهنة . ومن هنا اتبعت الكنيسة هذا المنهج نفسه فى تحرير العبيد المسيحيين ، ولا سيما فى مناسبة عيد القيامة (٧) ، بل ومنعت أولادها من امتهان بعض المهن التى تشوه حياتهم المسيحية الداخلية : كالمصارعة ، والمبارزة ، لكنها فى الوقت نفسه كانت توجد لهم مهناً بديلة حتى لا يعيشوا عاطلين (٨) . وجاء هذا تأكيداً لقيمة العمل التى تحدث عنها القديس بولس فى مواضع كثيرة كما فى رسالته الثانية إلى كنيسة تسالونيكى بقوله : « إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً لكى لا نثقل على أحد منكم ... إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً » (٢ تس ٣ : ٧-١٠) وجاءت الرهبنة

---

٧ - راجع - سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية .

٨ - المرجع نفسه .

المصرية تؤكد هذا المبدأ فى قوانين الشركة التى وضعها القديس باخوميوس فقد ذكر أحدها أن [العمل عبادة] وهو مبدأ لا يقتصر على أن يعطى للفرد كياناً اجتماعياً وإنما به يزداد انتاج المجتمع ليصل إلى مستوى الرقى المنشود .

خامساً ـ التربية الجمالية :

و يُقصد بها تنمية إتجاهات التذوق الفنى وحب الجمال لدى الأطفال فيشعرون بقيمة الفن فى مختلف صوره الطبيعة والإنسانية مما يكون له أكبر الأثر فى تشكيلهم النفسى والعقلى والاجتماعى . فالبيئة التى تتميز بالتناسق وجمال المناظر الطبيعية ، والبيت ذو الأثاث النظيف المنظم ، والحى الذى يضم حديقة جميلة بأزهارها وخضرتها ؛ هذه كلها تؤثر ولا شك فى ترقية وجدان الفرد ، وتُكَوِّن لديه إتجاه الإحساس بالجمال والتذوق الفنى .

ومن هنا يمكن أن ندرِّب أولادنا على تأمل جمال الإله نفسه الخالق ، والمدبر ، والقادر على كل شىء ؛ وكيف أضفى هذا الجمال المتنوع على خليقته فى أشكالها الإنسانية والطبيعية . ولا شك أن المؤمن يجد فى هذا كله نقطة بدء طبيعية ينطلق منها إلى التأمل فى جمال السماء والفضيلة ، هذه التى ترفعه إليها الحان الكنيسة الرائعة ، وصلواتها العذبة ، وأعيادها وأصوامها الطقسية ذات النظام البديع الذى يرتبط بالملائكة والقديسين والشهداء .

و يستطيع المؤمن أن يجد فى الفن المعمارى الذى تُشيَّد على أساسه الكنائس ، وفنون الرسم والنحت المتنوعة التى إتبعها الفنان القبطى ، بوجه خاص ، وهو حفيد الفنان المصرى العبقرى ؛ فى تقديم الصور التى تبرز موضوعات الكتاب المقدس أو مناظر الرسل والقديسين ؛ يجد فى هذا كله جمالاً فنياً أخاذاً يرقى بعواطفه ، و يربطه ربطاً وثيقاً بموضوع هذا الفن وجذوره الحية فى سير الآباء الأطهار فينقلها بدوره إلى البيت : صورة وطقساً ، مما يحفزه على التأمل ، و يشجعه على العبادة والنمو الروحى هو وأسرته .

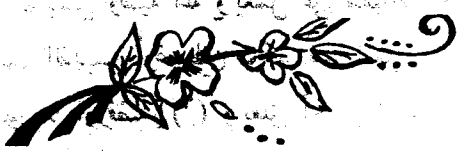

بذلك نكون قد درسنا مظاهر النمو المختلفة فى المجالات الجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والجمالية ، وحاولنا فى هذه الدراسة ، أن نربط بين أسس التربية العامة من ناحية ، وأسس التربية المسيحية من ناحية أخرى ، لكى نكشف عن نواحى التكامل التربوى فى المسيحية ، وكيف أنها فى عملها على الارتقاء بالإنسان إلى مستوى الخلاص قد ضمّنت هذا العمل مفاهيم تربوية لتصل بالإنسان إلى ملء قامة المسيح الذى قيل عنه : « وكان الصبى يسوع ينمو فى الحكمة ، والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) أى ينموا نمواً متكاملاً من مختلف النواحى .

وبقى أن ندرس التربية الدينية من وجهة النظر المسيحية ، ونرى أن نفسح لها فصلاً مستقلاً حتى نتعمق معناها ومظاهرها وأهدافها ، مقارنين فى وفاء بينها وبين التعليم الدينى حتى يتضح أمام المربى الفرق بينهما ولنقدم لهذا الفصل بمفهوم الإنسان فى المسيحية .

مفهوم الإنسان فى نظر المسيحية

الإنسان فى نظر المسيحية قمة الموجودات وتاج الخليقة . لقد خُلق على صورة الله ومثاله ، فهو إذن العالم الصغير الذى توحدت فيه مظاهر الخليقة الروحية والمادية ، خُلق حراً قادراً على رؤية وإدراك الحقيقة وتفهم وجوده . إنه لم يُخلق جسداً فقط وإنما وُهب نفساً خالدة ترى الله وتستنير به ، فالنفس جوهر روحى وخلودها أبدى وسر خلودها أنها نسمة من الله . فالمسيحية تؤمن بحرية الإنسان وترى أنه الكائن الحر العاقل المريد ، والحرية فى نظر المفكر المسيحى منحة جزيلة شرّف الله الإنسان بها . ويعتقد أوريجانوس أن الإنسان من خلال حرية إرادته يستطيع أن يصلّ إلى أعلى درجات الفضيلة ، وأن الله لا يريدنا أن نعمل الفضيلة إلاّ ونحن فى ملء حريتنا . وانكار حرية الإرادة فى نظر هذا الفيلسوف المصرى يعنى أن الإنسان ليس كائناً حياً ولا كائناً عاقلاً . فالإنسان يستطيع أن يقبل وصية الله ويعمل على تنفيذها ، ويملء إرادته أيضاً يستطيع أن يرفضها . ويقول القديس أوغسطين مؤكداً هذا المعنى : [إن حرية الإرادة هى القدرة على قبول تصور ما أورفضه] (٩) ويعلق أحد الفلاسفة على ذلك قائلاً :

---

٩ - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة فى العصر الوسيط .

[ولما كانت الفضيلة قائمة فى الإرادة فكل ما هو خير حقاً أو شر حقاً فى حياة الإنسان يتوقف عليه هو نفسه] (١٠) .

غير أن الإنسان انحرف بطبيعة الخير وإرادة الخير التى جبل عليها مخالفاً الوصية التى أعطيت له . انحرف عن طلب الخير الدائم إلى الخير الزائل وبمعنى أوضح أساء استخدام حريته وبالتالى أساء توجيه إرادته فحصر فكره فى الحس وابتعد بنفسه عن الصورة الإلهية التى جُبل عليها إذ أن الخطية هى انفصال عن محبة الله فى إرادتنا .

وبتغاضى الإنسان عن الفضيلة وانحرافه إلى الشر دخل فى دور الفناء والهلاك ولم يكن من المستطاع أن يخلصه منها سوى عمل إلهى يفوق الطبيعة فقد أصبحت الطبيعة البشرية بعد سقوطها فى حاجة إلى خلق جديد .

إن مدلول الخطيئة كما يرى القديس أثناسيوس هى تأمل الإنسان فيما لذاته والابتعاد عن التأمل فيما لله (١١) ، وهو حين ابتعد عن الله ـ الخير الأعظم ـ نسى أن الخير هو الوجود ، والشر هو العدم أو هو الانحراف عن الوجود الحقيقى إلى عدم الوجود أى الفناء والموت . فالشر ليس له وجود جوهرى ولكنه وجد لما قصر فكر الإنسان عن رؤية الخير كاملاً . ويقول السيد المسيح له المجد : « وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة » (يو ٣ : ١٩) . والطبيعة الإنسانية فى حالة الخطيئة تصبح وكأنها فى حالة تعدى على وصية الله . فبالخطيئة تتسلل الرذيلة إلى الإرادة فبدلاً من أن تصبح إرادة الله فى الإنسان هى الفضيلة تنقلب إلى إرادة الشر فيه . والموت هو النهاية الطبيعية لجسد الخطيئة لأن أجرة الخطيئة ليس الموت المادى فحسب وإنما الروحى والأدبى أيضاً . ولكن مما لا يتفق مع صلاح الله وعنايته أن تفنى خليقته بسبب الغواية التى أدخلها الشر . فهل يكون مصير الخليقة العاقلة إلى الهلاك ؟ هنا يتساءل القديس أثناسيوس : [هل يحتمل الإله الخالق أن يرى الفساد والشر يسودان البشر ؟ وما الفائدة من خلقهم إذن ؟] (١٢) لكن ثمة سؤال مقابل لهذا السؤال وهل الله مسئول عن شرورنا لأنه أعطانا حرية الإرادة وحرية الاختيار ؟ الإجابة بالنفى .

---

١٠ ـ تاريخ الفلسفة الغربية ـ ص ٤٠٤ .

١١ ـ القديس أثناسيوس : تجسد الكلمة ص ٩ .

١٢ ـ القديس أثناسيوس : تجسد الكلمة ص ٢٣ .

لأن الإرادة التى منحنا إيها الله هى خير من حيث أنها قدرة على الاختيار، وأنه لكمال أن نقدر على التصرف باختيارنا وأن نراعى بإرادتنا الحرة النظام الموضوع من الله، فيكون ذلك بمثابة تجاوب منا مع إرادة الخلق. ورغم هذه الحرية التى أعطيت للإنسان والمسئولية التى كان يجب أن يتحملها نتيجة إنحرافه إلاَّ أن الله رأى أن يعيد تجديده وانقاذه من هذا الإنحراف، فكان تجسده الإلهى. وكانت عقيدة التجسد فى المسيحية وغايتها خلاص الإنسان من خطيئته ـ ذلك أن فكر الإنسان كان قد انحصر فى الأمور الحسية فلكى يستعيد الإنسان صورته الإلهية وجب أن تنتقل أحاسيسه إلى شخص الله من جديد وتتركز مشاعره فى الذات الإلهية. ولا يستطيع الإنسان أن يحقق هذا إلاَّ إذا عاين الله فى صورة حسية، وهذا هو التجسد (١٣).

أثر عقيدة التجسد فى التربية :

تعتقد المسيحية أن الطفل يولد وآثار هذه الخطيئة عالقة به ـ فما الوسيلة إلى تخليصه منها ؟ هل تأتى عملية الولادة الروحية أى عقيدة العماد لتطهير نفس الطفل وغسلها من خطيئته الأولى، والمولود من الجسد هو جسد والمولود من الروح فهو روح (يو٣ : ٦). ولكن لكى يحيا الإنسان فى هذه الحياة الجديدة لا بد له أن يلبس المسيح إرادياً فى التوبة كاستمرار ونمو لهبة التجديد التى أعطيت له فى المعمودية. من أجل هذا ترتبط هذه العقيدة بعملية تربوية على أكبر جانب من الأهمية هى أن الوالدين يتعهدان بالعناية بسلامة الطفل وخاصة من الناحية الروحية ويقدمانه إلى الكنيسة لممارسة الأسرار الإلهية، ثم يسلمانه للمرشد الروحى عندما يبلغ أشده ليتعهده بالرعاية ويتأكد من استمرار توبته، وغذاء عقله بالمعرفة، واستنارته بالحق الإلهى.

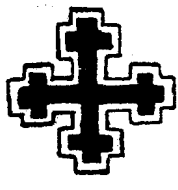

١٣ ـ القديس أثناسيوس : تجسد الكلمة ص ٢٥.

دراسة مجال التربية الدينية

الهدف الأساسى للتربية الدينية المسيحية :

تتحرك أهداف التربية الدينية ، من وجهة النظر المسيحية ، فى اطار هدف عام أساسى هو تكوين إنسان الله الكامل الذى يتشبه بسيرة الرب يسوع و يتتلمذ له . يقول الرب : « كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) كما يقول له المجد : « لأنى أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً » (يو ١٣ : ١٥) أى أن التربية المسيحية ليست مجرد تعاليم تلقن .. أو مناهج تدرس ، وإنما هى حياة تسلم بالمثال والسيرة ثم بالتعليم والتلمذة وتؤكد أقوال الآباء القديسين هذه الحقيقة الهامة والأساسية . يقول القديس يوحنا الحبيب عن اختباره للحياة مع الرب : « الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى تكون لكم شركة معنا أما شركتنا نحن فهى مع الآب وابنه يسوع المسيح » (١ يو ١ : ١ - ٣) . وهذا ما يؤكده القديس بولس الرسول حين يتحدث إلى تلميذه القديس تيموثاوس قائلاً : « أما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى واضطهاداتى وآلامى ... فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممَّنْ تعلمت » (٢ تى ٣ : ١٠ - ١٤) وكذلك فى رسالته إلى المؤمنين بكنيسة كورنثوس يؤكد الفكرة نفسها حين يقول لهم : « كونوا متمثلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح » (١ كو ١١ : ١ ؛ فى ٣ : ١٧) . لكن تمثلنا بالرب وبقديسيه ، وتكوين الإنسان المسيحى الكامل لا يمكن أن يتحقق فقط فى مجرد السلوك الخارجى ، أو الصورة المرئية الظاهرة ، وإنما يجب أن يتحقق أولاً فى أن يحيا الإنسان بالمسيح بل أن يحيا المسيح فيه . يقول القديس بولس : « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » (غل ٢ : ٢) وهكذا يصبح الهدف الأساسى من التربية الدينية المسيحية أن نحول حياة تلاميذنا إلى حياة المسيح فيهم ، أى إلى حياة أساسها عمل المسيح فى باطن المؤمن ليثمر حياة كاملة ، خفية وظاهرة ، فيكون مسيحياً بالعمل والحق ، وليس مجرد متدين له صورة التقوى لكنه ينكر قوتها .

نقطة البدء فى تحقيق أهداف التربية الدينية :

ومما يساعد على تحقيق هذا الهدف الأساسى أن المعلم لا يبدأ مع التلميذ من نقطة الصفر، فالتلميذ يأتى إلى المدرسة الإبتدائية مزوداً بالكثير من الخبرات اللغوية والحركية والاجتماعية وربما الدينية. لكن خبراته الدينية، رغم أنها محدودة، إلاَّ أنها تحمل الأساس المتين لاستكمال النمو الروحى. ذلك أنه بنواله سر المعمودية يكون قد حصل على الولادة الروحية أى أصبح مولوداً من الله. وبعد المعمودية يُمسح بالميرون المقدس وبه يصبح مسكناً للروح القدس. يقول القديس يوحنا الحبيب: «وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن تعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء وهى حق وليست كذباً، كما علمتم تثبتون فيه» (١ يو ٢ : ٢٧). فبحصول الطفل على هذين السرين المقدسين واستحقاقه بعد ذلك التقدم لسر التناول يصبح عضواً فى جسد الرب، وقطعة حية نابضة من جسد الكنيسة المقدسة. فالتربية الدينية لا تعتبر شيئاً دخيلاً عليه. إنه ضمن حملان المسيح: الراعى الصالح، فيه تقدس روحاً وعقلاً وجسداً فأصبح هيكلاً لحلول الروح القدس كقول القديس بولس الرسول: «أنتم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١ كو ٣ : ١٦)، ومعنى ذلك أنه ليس المعلم هو الذى يجعل الطفل يحيا حياة المسيح وإنما هى فاعلية الروح القدس الباطنية، وما دور المعلم سوى إشعار تلميذه بهذه الفاعلية، وتسليمه لعمل النعمة الخفى فتنمو الكلمة الإلهية فى داخله كما تنمو البذرة فى باطن الأرض.

بين التعليم الدينى والتربية الدينية :

ولذلك نجد أنه من الضرورى لفت نظرك إلى المقصود بالتعليم الدينى والمقصود بالتربية الدينية، لتعرف الفرق بين أهداف كل منهما فنحن لا نريد أن تتحول دروس الدين إلى مجرد إعطاء معلومات أى إلى مجرد تلقين، لأن معنى ذلك أن الخبرة الدينية لن تتعدى دائرة العقل. والوقوف عند حد فهم الخبرة الروحية وتعقلها، دون الاحساس بها قلبياً ووجدانياً، ثم ممارستها عن اقتناع وفهم، فإننا لا نجنى منها سوى مجرد فهم ذهنى يطفو على سطح الحياة دون أن يمتد إلى أعماقها. أما إذا جعلنا من التعليم الدينى عنصراً من عناصر التربية الدينية فإننا نكون قد اتبعنا خطة السيد

المسيح فى بناء الشخصية المسيحية : لأنه بقدوته ومثاله وكماله أعطانا صورة للنموذج والنمط الذى يريدنا أن نحققه فى حياتنا . أما تعاليمه فقد أوضحت لنا الطريق إلى اتباع هذا النموذج .

ونفصل الحديث عن أهداف التربية الدينية ، ثم عن أهداف التعليم الدينى ليتضح من المقارنة ما بينهما من فروق وحتى نتعرف من ناحية أخرى إلى نقاط اللقاء بينهما وذلك ليتمكن المعلم من تمييز موقع درس الدين من هذه الأهداف جميعاً فلا يؤديه الأداء النمطى التقليدى وإنما يجعل منه إنطلاقة جديدة على الطريق إلى الحياة الأفضل ودفعة روحية لزيادة إرتباطه وإرتباط الطفل بالله .

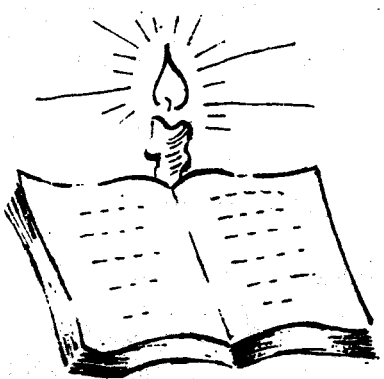

أهداف التربية الدينية

أولاً ـ تنقية النفس من الداخل :

يقول الرب : « طوبى للانقياء القلب . لأنهم يعاينون الله » (مت ٥ : ٨) و يقول أيضاً : « ها ملكوت الله داخلكم » (لو ١٧ : ٢١) . ومعنى ذلك أن المربى يجب أن يهيىء المجال لتحقيق التلامس السرى بين النفس و بين ملكوت الله الذى فى داخلها وهو التلامس الذى من شأنه يحدث عمل التنقية إذ بدون تلامس النفس مع الحق الكامن فيها بسرى المعمودية والميرون لا يمكن أن تحدث هذه التنقية . أما وسيلة إحداث هذا التلامس فهى كلمة الله نفسه . يقول الرب : « أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به » (يو ١٥ : ٣) فكلمة الله التى يوصلها المعلم لأطفاله تقوم بعملية التنقية . و بالنسبة للطفل بالذات فإن الكلمة ذات فاعلية أكثر و بالتالى قادرة على إحداث تنقية أعظم ، فتتفتح بصيرته الداخلية و يتطلع إلى ممارسة الفضيلة المسيحية عملياً .

ثانياً ـ التطبيق العملى للوصية المسيحية :

إن تنقية وعمل النعمة السرى فى النفس الباطنة يؤدى بالطبيعة والضرورة إلى ثمار الفضيلة العملية فى الحياة الشخصية وفى السلوك العام . ولان المحبة هى أم الفضائل فإن تطبيق مبادئها هو فى الواقع تطبيق للمبادىء المسيحية . فالرب يسوع لا يقف عند مجرد المحبة التى بالكلام أو باللسان وإنما يأمرنا أن نمارسها بالعمل والحق . يقول له المجد : « لانه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم . أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك » (مت ٥ : ٤٦) فهو يريد منا كمؤمنين أن نسمو فوق مستوى طبيعتنا الإنسانية التى تجعلنا نحب مَنْ يحبنا فقط ، ونكره ونعادى مَنْ يكرهنا و يعادينا ، ذلك أننا عند هذا الحد نكون بشراً طبيعيين . أما إذا كنا قد تجددنا بالميلاد الثانى ، ولبسنا الرب يسوع وشابهناه فى البر وقداسة الحق فإننا لن نشعر بضيق حين نسمعه يخاطبنا : « وأما أنا فأقول لكم احبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، احسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل

الذين يسيئون إليكم» (مت ٥ : ٤٤). لكن الذى أوصانا بالتناهى فى المحبة إلى هذه الدرجة هو نفسه الذى أمرنا فى حالة ارتكاب أحد الأخوة خطأ فى حقنا بأن نعاتبه فقد قال له المجد: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار» (مت ١٨ : ١٥ - ١٧). أى أن تطبيق وصية المحبة يجب أن يكون نابعاً من فهم متكامل لوصايا المسيح من ناحية، ومن الاسترشاد بالروح القدس الساكن فينا من ناحية أخرى. ودور التربية الدينية هو التدريب على تنفيذ الوصية الإلهية فى تكامل يجمع بين القبول من جانب، وبين الوعى والفهم وحسن التقدير من الجانب الآخر.

ثالثاً - تقوية الإيمان بالحياة الأبدية :

ويشمل تقوية الإيمان بخلود الروح، والقيامة الثانية ثم الدينونة الأخيرة، فالنفس الإنسانية منذ خلقتها ثم ممارستها الحياة وهى مرتبطة بالجسد على هذه الأرض، والميل إلى التعبد كامن فيها يكاد أن يكون إحدى قواها الفطرية ودور المربى المسيحى أن يجعل من هذا الإيمان سلوكاً عملياً يتضمن خشية الله، والتسليم الكامل لمشيئته، وانتظار مجيئه الثانى، والاستعداد للدينونة ليس عن خوف وإنما عن حب وطاعة وتقبل لوصاياه.

رابعاً ـ ممارسة وسائط النعمة :

إن التدريب على ممارسة وسائط النعمة ، عن إقتناع وهيبة للثبات فى حياة الفضيلة : بالمواظبة على العبادة ، والتوبة المتجددة اليومية يعطى اختبار النصرة على أهواء النفس والجسد ، وعلى قوى العالم المعثرة ، ومحاربات إبليس الشرير ، وذلك بسر النعمة الموهوبة . يقول القديس بولس الرسول : «لا أنا بل نعمة الله التى معى» (١كو ١٥ : ١٠) كما يقول : «أستطيع كل شىء فى المسيح يسوع الذى يقوينى» (فى ٤ : ١٣) .

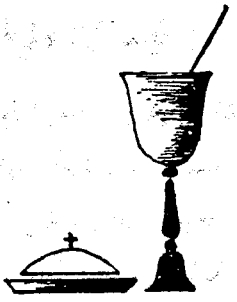

خامساً ـ فعل الفضيلة من أجل المسيح :

يقول له المجد : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) فالمؤمن الحقيقى يطبق وصية المسيح أى يعيش فضائله حباً فيه ولذلك فلا يهمه إن مدحه الناس أو لم يمدحوه . بل إن هذا المؤمن ملتزم أن يعمل الفضيلة فى الخفاء ، فقد علمنا ربنا له المجد أننا إذا عملنا صدقة ، أو اختلينا للصلاة أو مارسنا الصوم وجب علينا ألاَّ نظهر للناس شيئاً من هذا بل أن نمارسه فى الخفاء ، «وأبوكم الذى يرى فى الخفاء هو يجازيكم علانية» (مت ٦ : ٤) واتيان الفضيلة المخفاة يؤدى إلى مجموعة من النتائج العملية ذات الأثر الاجتماعى الهام كالنزاهة ، والأمانة ، والوفاء ، والبعد عن التعصب والتغلب على الأنانية ، وهذه الفضائل يمارسها المؤمن فى حياته الشخصية وحياته

العامة: فى بيته وعمله وبين أقاربه وجيرانه وزملائه، وفى مختلف المجالات التى يتعامل معها، بصرف النظر إن كانت هناك متابعة أو مراقبة أم لا لأنه يمارسها بالضمير الروحى والمسئولية الأدبية أمام الله جلت قدرته، ولعل دور التربية هنا يصبح دوراً مزدوجاً فهو يعد الفرد الأمين النزيه المرتفع عن الدنايا، كما يعد، فى الوقت نفسه، المجتمع الذى يقدّر الفرد النزيه فيكافئه و يفخر به.

سادساً ـ اكتساب القدرة على مواجهة المشاكل والآلام فى صبر وحكمة:

ذلك أن المؤمن الحقيقى يتميز بالثبات فى احتمال الألم. ومشكلات الحياة متباينة، وقد تكون متلاحقة وتحتاج مواجهتها إلى فضيلة الصبر والتدريب على السلوك بروح الصلاة مع الصوم، كوسيلة لطلب الارشاد واستجلاء السبيل الإلهى كما تختاره وتحدده إرادة الله، وأيضاً تدخل الله للتغلب على هذه المشكلات. والمؤمن الذى أثمرت فيه التربية الدينية هو الذى يسلم حياته ومشكلاته وهمومه لإلهه القادر الأمين فى عمل الخير.

سابعاً ـ حياة التلمذة المتصلة:

فحياة المؤمن تلمذة متصلة لا ينقطع خلالها عن السعى فى طلب الكمال المسيحى بالاستفادة مما يمر به من خبرات، وبموالاة الدراسة ومتابعة الجهاد الروحى. وهنا تلعب قدرة المعلم دوراً خطيراً فى توجيه تلاميذه إلى الاتضاع الروحى ومواصلة طلب المعرفة الروحية مهما بلغنا من السن.

ثامناً ـ احترام وتقدير حياة التكريس للخدمة:

إن المؤمن يجب أن يقدم أثمن وأغلى ما عنده لله لا افتخاراً أو تباهياً وإنما حباً وعرفاناً. ومن خلال التربية الدينية السديدة يمكن للمؤمن أن يكتشف نفسه وقدراته، فيقدمها وزنات طاهرة كوكيل أمين على نعمة الله. والتكريس للخدمة يمكن أن يكون كلياً بتقديم الحياة كلها محرقة على مذبح الحب والخدمة، ويمكن أن يكون جزئياً بتقديم الإمكانيات التى وهبها الرب للمؤمن كذبيحة حية مرضية، ومن مجموعة هذه المواهب والوزنات تسير كنيسة الله إلى التكامل والكمال المطلوبين.

تاسعاً ـ تطبيق قيم حياة الشركة تطبيقاً عملياً :

لقد مارست الكنيسة ، منذ نشأتها ، وعلى مدى تاريخها الطويل ، حياة الشركة ، «فقد كان كل شيء فى العصر الرسولى بين المؤمنين مشتركاً» (أع ٤ : ٣٢) ولكن حياة الشركة لم تقف عند حد الاحتياجات المادية ، وإنما تعدتها إلى شركة الشعور، وشركة البذل ثم المشاركة فى آلام الشهداء. وقد اهتمت الكنيسة برعاية عائلاتهم بالرغم من أن مواردها لم تكن لها صفة الثبات ، ولا الإجبار وإنما كانت تعتمد على التقدمات الاختيارية من ناحية ، وعلى العمل وبذل الجهد من ناحية أخرى. ويقول القديس بولس الرسول : «أنتم تعلمون أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان. فى كل شيء أريتكم أنه هكذا ينبغى أن تتعبوا وتعضدوا الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع المسيح أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠ : ٣٤، ٣٥).

هذه هى أهداف التربية الدينية ، من وجهة النظر المسيحية ، وطبيعى أنها الأهداف التى يجب أن تتضح أمام المعلم أولاً ، ثم أمام التلميذ ، ومن خلال تعمق المعلم لها ، يمكن أن يطعم دروسه بها. المهم أن يتأكد لدى المعلم أن الدرس ليس وحدة منفصلة ، أو قائمة بذاتها ، ولكن الدرس ، كل درس ، هو فى حقيقته حلقة فى سلسلة مناهج مرتبطة تؤدى ، أو مفروض أنها تؤدى ، فى نهايتها إلى تحقيق هذه الأهداف.

واستكمالاً لهذه الدراسة التربوية نوضح أهداف التعليم الدينى ليكون المعلم على بينة من الفروق الواضحة بين التعليم الدينى والتربية الدينية. حقيقة إن هذه المقارنة أحد موضوعات مادة أصول التربية لكن مادة أصول التربية الدينية ـ فى المفهوم المسيحى ـ ربما تحتاج إلى توضيح أكثر حتى نتعرف إلى وسائل تحويل القيم والمثل والمفاهيم الدينية إلى سلوك فعلى. وإذا كنا نوضح أهداف التعليم الدينى ، فلكى يقف المعلم على نقط اللقاء بينها وبين أهداف التربية الدينية فتتكامل العملية التربوية بالنسبة لخدمة درس الدين كوسيلة من وسائل بناء الشخصية الروحية والاجتماعية الناجحة.

أهداف التعليم الدينى

لئن كان التعليم الدينى ، كما سبق أن بيّنا ، عنصراً من عناصر التربية الدينية ، وجزءاً منها لا يتجزأ ، لكنه مع ذلك له الأهداف الخاصة به . فكثيراً ما ذكر عن السيد المسيح أنه « كعادته كان يعلم » ذلك ان ممارسته للتعليم ارتبطت ببناء النفس البشرية وخلاصها فكان تعليمه مستمراً غير منقطع ، بدأه وهو بعد فى الثانية عشرة من عمره حين ذهب إلى الهيكل وجلس بين المعلمين يسمعهم و يسألهم (لو ٢ : ٤٦) . أما كلمته التى كثيراً ما كان يكررها ليؤكد بها رسالته فكانت « ينبغى أن أكون فيما لأبى » (لو ٢ : ٤٩) فلما خرج إلى خدمته الجهارية فى سن الثلاثين لم يكن يتأخر حتى وقت تناول الطعام - عن أن يسمو باهتمامات تلاميذه إلى أفضلية رسالة الخدمة والتعليم بقوله له المجد : « طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » (يو٤ : ٣٤) أى أن أكرز بالكلمة ليخلص بها الناس ... وبذلك توحدت سيرة السيد المسيح مع تعليمه فى منهج متكامل ، قدمه للإنسانية لتحياه وتسلمه تراثاً روحياً نقياً للأجيال .

ويمكن أن نلخص أهداف التعليم الدينى فيما يلى :

أولاً - من حيث أن التعليم الدينى تسليم لمفهوم الإيمان :

١ - تسليم هذا المفهوم تسليماً أميناً وصحيحاً - فمن صميم عمل المعلم أن يعلم كلمة الحق بالاستقامة ، و يفصلها و بوضح مضمونها للمؤمنين ولا سيما الأطفال بالطريقة التى تناسبهم . يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس : « وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وايقنت عارفاً ممّنْ تعلمت . وانك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالإيمان الذى فى المسيح يسوع » (٢تى ٣ : ١٤ ، ١٥) هذا التسليم يعاون التلاميذ على تغيير ما لديهم من مفاهيم خاطئة سابقة ، و يقودهم إلى الاستنارة الحقيقية بالإيمان . والإيمان هنا يشمل الإيمان بالله الخالق ، الله المتجسد ، الله الفادى المدبر لحياتنا ، كما يشمل تصديق كل ما جاء به الوحى الإلهى

فى الكتب المقدسة المعترف بها ، وكما علمت بها كنيسة المسيح الارثوذكسية .

٢ ـ **التعرف بالكتب المقدسة والكنسية :** كمصدر من مصادر التعليم الدينى وتحديدها والتعرف إلى محتواها لإدراك مدى قيمتها من ناحية ، وكيفية استخدامها من ناحية أخرى ، وأيضاً تطبيق ما جاء بها .

ثانياً ـ من ناحية بيان وضع المسيحية ونتائجها تاريخياً :

١ ـ **تبين مكانة المسيحية من تاريخ البشرية :** أى من التاريخ الإنسانى ككل ، ودراسة الظروف التى ظهرت فيها وكيف تحققت بظهورها أقوال الأنبياء السابقين فهى حلقة فى سلسلة العمل الإلهى فى خلاص الإنسان ، غاتيها إتمام عمل التجسد والفداء . ومجال هذا دراسة ما جاء فى الكتاب المقدس من ناحية ، وما أثبته التاريخ من كشوف من ناحية أخرى . يقول القديس بولس الرسول : « لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس . ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبنى » (غل ٤ : ٤ ، ٥) كما قال أيضاً فى رسالته إلى العبرانيين ليوضح لهم توقيت مجىء المسيح : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » (عب ١ : ١ ـ ٢) .

٢ ـ **دراسة الآثار العميقة والتغييرات العظمى :** التى أحدثتها المسيحية فى المجتمع الإنسانى وفى النفس الإنسانية ، وقد يتطلب هذا دراسة مقارنة لأحوال المجتمعات قبل وبعد المسيحية من النواحى الروحية والنفسية والاجتماعية والأدبية .

ثالثاً ـ من حيث توضيح الغايات الروحية للمسيحية :

١ ـ **دراسة وسائط النعمة :** أى الأسرار المقدسة ، طرق العبادة ، سير القديسين ، الصداقة الروحية ، ويتطلب هذا تعريف التلاميذ بتحديات الإيمان ، وأسباب تعويقه وانتشاره ، وبذلك يرتبط التعليم الدينى بالمشكلات اليومية للأولاد ، ومفروض أنه بالتدريج يصبح إحدى وسائل حلها .

٢ ـ **فهم الفضائل المسيحية فهماً واعياً :** مستنيراً بلا لبس أو خلط . على سبيل المثال هناك فرق كبير بين رذيلة الضعف وامتهان الكرامة ، وبين فضيلة التسامح لأجل محبة المسيح التى تتطلب قهر الغضب ، وضبط النفس واللسان .

٣ ـ التعريف بالحياة الأبدية وأسرارها المذخرة للقديسين : المنتصرين الذين حفظوا الوصية وجاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعى، وتوضيح طبيعة هذه الحياة بما جاء عنها فى الكتاب المقدس، ثم ما ذكره التاريخ الأقدس من حوادث ورؤى وما شهد به عن القديسين المنتصرين.

٤ ـ معرفة قيمة النفس البشرية : ووزنها الكبير فى نظر الله، وتعدد المواهب التى أعطيت لها، وأهميتها فى تكامل الخدمة سواء فى الكنيسة أو فى المجتمع المحلى أو المجتمع الإنسانى العام.

٥ ـ توثيق الصلة بين القيم المسيحية وبين مثل حياة الشركة : وما تميزت به هذه الحياة ـ خاصة فى العصور الأولى ـ من تعاطف وبذل وإبراز حقيقى واقعى لإشتراكيه الحب والخدمة والبذل.

رابعاً ـ التعليم الدينى والتعريف بالكنيسة :

أى التعريف بمعناها وتاريخها، وأسرارها، وطقوسها، والرموز التى ترمز إليها فى الكتاب المقدس باعتبارها عمود «الحق وقاعدته» كما وصفها القديس بولس الرسول، وباعتبارها النافذة التى نطل منها على السماء، ولأنها بيت الملائكة وبيت الله.

خامساً ـ ربط التعليم الدينى بالمحفوظات الروحية :

من فصول الكتاب المقدس والمزامير والتراتيل، والألحان الكنسية المناسبة، فهذه تعتبر بمثابة الزاد الروحى الذى يغذى الأطفال ويكون ذخيرة لهم على مدى مراحل عمرهم.

بذلك نكون قد أوضحنا أوجه الفرق ونقط اللقاء بين التربية الدينية والتعليم الدينى بعد أن درسنا مفهوم الإنسان فى نظر المسيحية وهكذا تتضح الآن أمامنا الصورة كاملة لمجالات التربية جسمياً وعقلياً ونفسياً وأجتماعياً ودينياً وقد وضح من سياق العرض أن العملية التربوية ـ فى المفهوم المسيحى ـ عملية متكاملة تشمل الإنسان ككل، وان عملية نمو الإنسان، إنما هى عملية شاملة تنمو من خلالها خبرة الطفل ويكتمل تفتحه تدريجياً وهنا تأتى التربية الروحية لتقدم له الإطار المسيحى الإنجيلى

الذى ينظم سائر نواحى النمو لتصبح الحياة كلها مهيأة للسير نحو الأفضل أى نحو الكمال الذى بربنا يسوع المسيح.

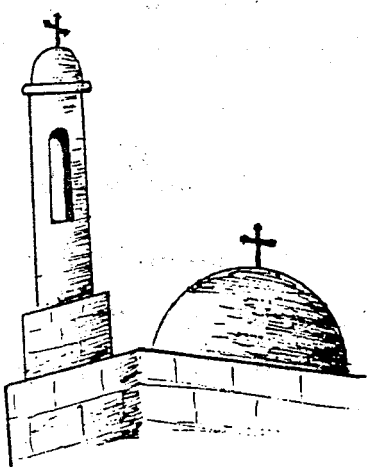

فهرس

صفحة

تقديم ٧
فكرة الكتاب ١١

التربية ماهيتها ـ عواملها

تعريف التربية ١٦
المدخل الاجتماعى ١٧
المدخل المسيحى والفكر الأرثوذكسى ١٨
ضرورة التربية ١٨
أولاً ـ النمو الجسمى والتربية الجسمية ١٩
ثانياً ـ التربية العقلية ٢٢
ثالثاً ـ التربية النفسية ٢٤
رابعاً ـ التربية الاجتماعية ٢٨
خامساً ـ التربية الجمالية ٣١
مفهوم الإنسان فى نظر المسيحية ٣٢
أثر عقيدة التجسد فى التربية ٣٤
دراسة مجال التربية الدينية ٣٥
الهدف الأساسى للتربية الدينية ٣٥
نقطة البدء فى تحقيق أهداف التربية الدينية ٣٦
بين التعليم الدينى والتربية الدينية ٣٦

أهداف التربية الدينية ٣٨

أولاً ـ تنقية النفس من الداخل ٣٨
ثانياً ـ التطبيق العملى للوصية المسيحية ٣٨
ثالثاً ـ تقوية الإيمان بالحياة الأبدية ٣٩
رابعاً ـ ممارسة وسائط النعمة ٤٠
خامساً ـ فعل الفضيلة من أجل المسيح ٤٠
سادساً ـ اكتساب القدرة على مواجهة المشاكل والآلام فى صبر وحكمة ٤١
سابعاً ـ حياة التلمذة المتصلة ٤١
ثامناً ـ احترام وتقدير حياة التكريس للخدمة ٤١
تاسعاً ـ تطبيق قيم حياة الشركة تطبيقاً عملياً ٤٢

أهداف التعليم الدينى ٤٣

أولاً ـ من حيث أن التعليم الدينى تسليم لمفهوم الإيمان ٤٣
ثانياً ـ من ناحية بيان وضع المسيحية ونتائجها تاريخياً ٤٤
ثالثاً ـ من حيث توضيح الغايات الروحية للمسيحية ٤٤
رابعاً ـ التعليم الدينى والتعريف بالكنيسة ٤٥
خامساً ـ ربط التعليم الدينى بالمحفوظات الروحية ٤٥